

القطار البوشناق



قصة: أماني العشماوي

رسوم: رانيا أبو المعاطي



مغاوري

قطار مجري، أحب المصريين وتمنى
أن يكون واحدًا منهم.



سباعي

قطار أسباني، أحب المصريين
وموسيقاهم وغناءهم.

مُرسي

قطار فرنسي متحفظ، أعجبه تعاطف
المصريين وتعاونهم.



سنباطي

قطار صيني، أعجب بلغة مصر ومعالمها
وحضارتها.



إسماعيل

قطار يوغوسلافي من البوسنة،
سمح وكريم.



عتريس

شاب متحمس، من مَلّوي في الصعيد.



كساب

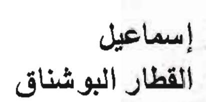
بريطاني الأصل رفض مغادرة مصر
سع قوات الأحتلال.



دسوقي

مصري أصيل، كبير السن من دسوق
بكفر الشيخ.


إسماعيل
القطار البوشناق



إسماعيل
القطار البوشناق

قصة: أماني العشماوي
رسوم: رانيا أبو المعاطي

إخراج فني: رجائي عبد الله
إشراف: أميرة أبو المجد

الطبعة الأولى ٢٠١٠

www.shorouk.com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٠٠٥/٢٠١٠
ISBN: 978-977-09-2826-2





قصة

أماني العشماوي

رسوم

رانيا ابو المعاطي

دار الشروق

دخل كسّاب محطة مصر بالقاهرة وهو يصفر ويغني:
«يا حبايبي يا أهلي يا ناسي، في هواكم عمري ما أقاسي».

فاستقبله دسوقي وعتريس وسباعي بالتحية، ثم قال له دسوقي:
«ما الذي ذكَّرك بهذه الأغنية يا كسّاب؟».

قال كسّاب بانشراح: «كنتُ في ورشة الصيانة في كوبري الليمون، فالتقيتُ بصديق عزيز لم أرَهُ منذ زمنٍ بعيدٍ».

قال دسوقي بفرح: « لا بد أنك التقيتَ «سُمْعة» أليس كذلك؟ كيف حاله؟ لقد اشتقنا إليه. ما الذي أحضره إلى ورشة كوبري الليمون؟».

قال كسّاب: «إنه بخير والحمد لله ما زال على هدوئه ورِقَّته المعتادة وقد أخبرني أنهم يجددون ماكِنَتَه ليعود للعمل معنا على خط القاهرة -القنال».

تدخل عتريس، فقال بحماس:
«هل هو القطار الذي حكيت لنا عنه يا دسوقي؟ أخيرًا سوف نراه».

نَفَدَ صبرُ سباعي، فتساءل: «مَنْ سُمْعَةُ هذا؟ لم أسمع عنه من قبل».

رَدَّ عَتريسٌ، الذي كان متابعًا الحديث باهتمام: «إنه قطار من يوغوسلافيا القديمة جاء إلى مصر حوالي سنة ١٩٦٠، اسمه إسماعيل، لكنَّ دسوقي وكسّاب يقولانِ عنه سُمْعَة تدليلًا له».


كوبري
الليمون
القاهرة



ثم التفت إلى كسّاب وسأله: «متى ينتهون من تجديد ماكِنتِهِ؟»

ردَّ كسّابٌ: «قالَ لي إنه سيبدأُ العمل في شم النَّسيم».

في تلك اللحظة، دخل سُنباطي المحطة وقال: «مساءُ الخيرِ يا جماعة. مَنِ الذي سيبدأُ العمل في شمِّ النسيمِ؟ قطارٌ جديدٌ؟ من أيِّ بلدٍ يا تُرى؟».

قالَ سباعي باختصارٍ: «إنه قطارٌ قديمٌ، من يوغوسلافيا القديمة. سيعودُ للعملِ معنا».

قال سنباطي بحماسٍ: «رائعٌ! من أيِّ مكانٍ في يوغوسلافيا القديمةِ؟».

ضَحِكَ دسوقي وقال: «تُعجبُني دِقَّتُك يا سنباطي.. الحقيقةُ أنه من البوسنة، هذا ما اكتشفناه بعد وصولِهِ بأسبوعٍ واحدٍ».

دخلَ مرسي المحطةَ، قائلًا بصَفيرِهِ المعتادِ: «سلامات يا جماعة».

ثم اشتركَ في الحديثِ دونَ مُقدماتٍ فقالَ: «ماذا اكتشفتُم؟ أشرِكوني في اكتشافِكُم».

تبرَّعَ سباعي بإعادةِ القولِ: «نتحدث عن قطارٍ من البوسنةِ؛ كان قديمًا ويُجَدِّدونَهُ.. لا يَعْرِفُهُ إلا كسّابٌ ودسوقي».

قالَ عتريسٌ: «احكِ لهم عنه يا دسوقي، ليعرفوه كما عَرفتُهُ أنا من حكاياتِك».

سكتَ الجميعُ انتظارًا للحكايةِ.. فقالَ دسوقي: «في حوالي سنة ١٩٦٠، جاءنا قطارٌ جديدٌ من يوغوسلافيا، قال لنا إنه عَمِلَ بين سرايفو وزَغْرِب ستةَ أشهرٍ قبلَ قدومه إلى مصرَ.. كان يجيدُ لغةَ القطاراتِ طبعًا؛ فكنا نحدِّثُهُ بها.. لكننا فوجئنا به يقول لنا كلما وَدَّعَنا: «مع السلامة». كان يقولُها باللغةِ العربيةِ كما نقولُها نحنُ، لا يَعْرِفُ غيرَها ولا يعرفُ أنها باللغةِ العربيةِ أصلًا.. فلما سألناه قال إنها تحيةَ الوداعِ المتعارَفِ عليها بين القطاراتِ التي تكونُ محطَتُها الرئيسيةُ في سرايفو، وإنهم يستعملونها ولا يعرفونَ أصلَها».

سكتَ دسوقي، فأكملَ كسّابٌ: «فشرحَ له دسوقي معناها، وأنها من اللغةِ العربيةِ».





دخلَ مغاوري المحطةَ وهو يقولُ: «كيف حالُكُم يا جماعة؟ ما هذا المؤتمرُ الاجتماعيُّ؟».

رَدَّ عتريسٌ وهو يَهُمُّ بالرحيلِ: «إنهم يحكون عن قطارٍ قديم جديدٍ. عن إذنِكُم يا جماعة، حان موعدُ رحيلي. إلى اللقاءِ بعد غَدٍ إن شاءَ الله». ثم أطلق صفارةً قصيرةً، قال بعدها باللغةِ العربيةِ: «مع السلامةِ».. وانطلق.

تابع دسوقي حكايتَهُ: «عَمِلَ إسماعيلُ في البدايةِ على خطِّ القنالِ، وكان سعيدًا بعملِه؛ فقد تعرَّف على كثيرٍ من السُفُنِ التي تَمُرُّ في قناةِ السويسِ وعلى زوارقَ المرشِدين، وكان يُحَيِّيهم بالصفيرِ. فهو أول من عَرَّفَنا أن للسفن لغةَ صفيرٍ عالميةٍ، وأنها تشبِهُ لغةَ القطارات لكنها ليست



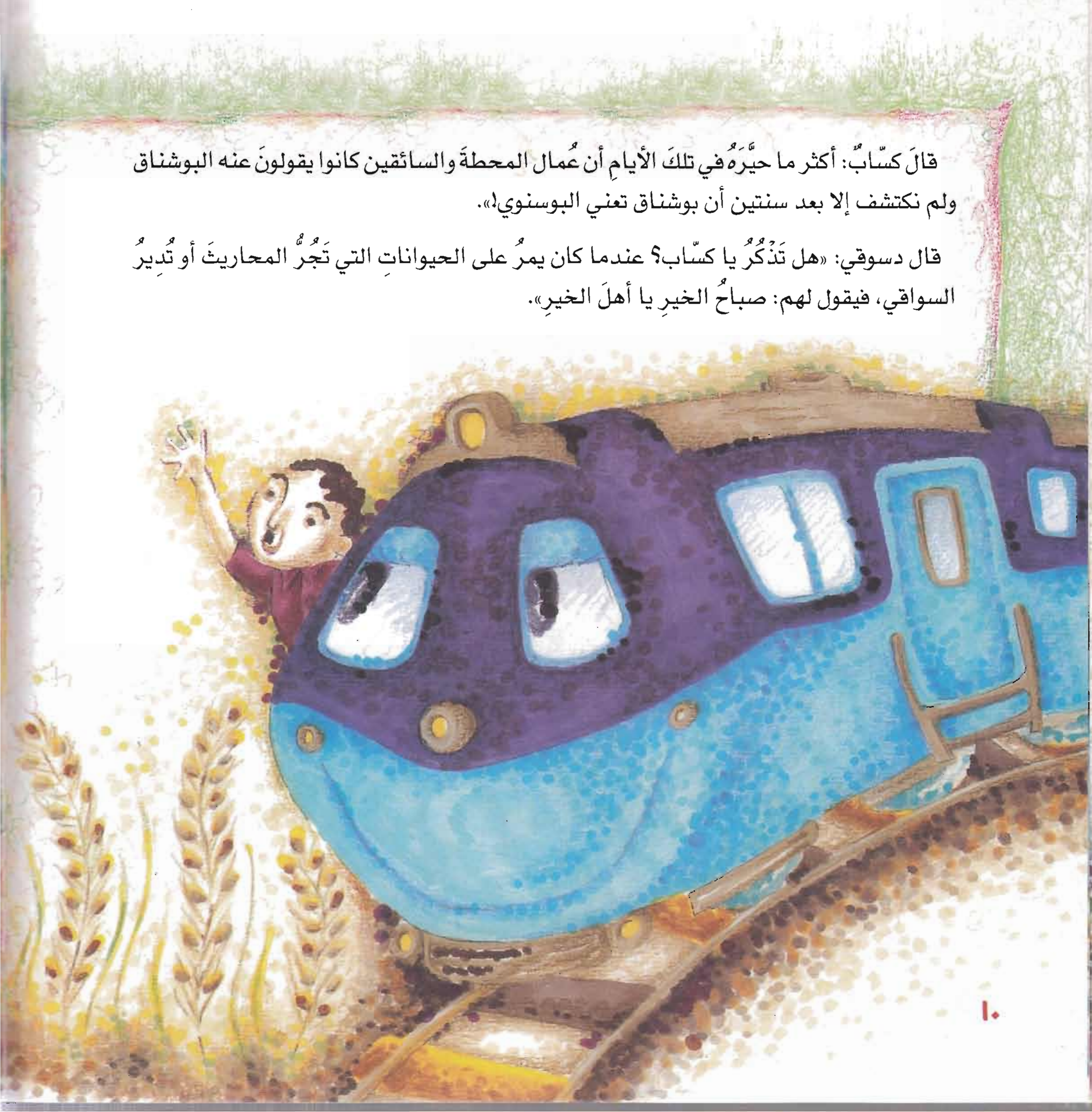
مطابقةً لها.. لذلك من السهل علينا التفاهُمَ مع مَرْكَباتِ البحر التي تُطلقُ صفيرًا.
وكان يَنْقِل إلينا أنباءَ العالمِ الخارجيِّ كلما سافرَ إلى مدنِ القنالِ».

قال مغاوري: «يبدو أنه اعتاد على الحياةِ المصريةِ بسهولةٍ».

قال دسوقي: «كأنه صُنِعَ في مصر، وقد تعلمَ اللغةَ العربيةَ بسرعة، واختارَ لنفسهِ اسمَ سائقهِ البوسنويِّ الذي كان يُسمى «إزات إسماعيلوفيتش»؛ وكان اسمًا طويلًا وصعبَ النطقِ ثم عرفنا بالصُّدفةِ من حوار بين راكبينِ أن إسماعيلوفيتش تعني ابن إسماعيلَ.. فاكتفى باسم إسماعيل».

قالَ كسّابٌ: أكثر ما حيَّرَهُ في تلكَ الأيامِ أن عُمال المحطةَ والسائقين كانوا يقولونَ عنه البوشناق ولم نكتشف إلا بعد سنتين أن بوشناق تعني البوسنوي!».

قال دسوقي: «هل تَذْكُرُ يا كسّاب؟ عندما كان يمرُ على الحيواناتِ التي تَجُرُّ المحاريثَ أو تُدِيرُ السواقي، فيقول لهم: صباحُ الخيرِ يا أهلَ الخيرِ».





قالَ كسّابٌ بتأثُّرٍ: «نعم، أذكُرُ. فقد كان يرى أن كلَّ مَن يحبُّ أرضَ مصر ويَخْدُمها يكون مِن أهلِ الخيرِ. وهل هناك خدمةٌ أعظمُ من زراعةِ الأرضِ ورَيِّها؟».

سَرَح كسّاب في ذكرياتِهِ، فتابعَ دسوقي: «بعد حوالي ثماني سنوات، انتقلَ إسماعيلُ للعملِ على خطِّ قنا-الواحات. ولم نرَهُ منذُ ذلك الوقتِ. وإن كانت تأتينا أخبارُه مع الطيورِ العائدةِ في الربيعِ إلى بلادِها الباردةِ، أو مع قوافلَ الإبلِ التي تمرُّ على الواحاتِ».

قال سُنباطي بِحَمَاسِه المُعْتاد: «لا بدَ أنه القطارُ الذي قابلتُهُ في محطةِ قِنا منذ شهورٍ، وحَكِيتُ لك عنه يا سباعي».

قالَ سباعي: «فعلًا .. فعلًا ، لقد قلتَ لي إنه هـادئٌ ومهـذبٌ، وإن الإبَـل أقـربُ إلى قَلبِـهِ من باقي الكائنات».

رد كسّابٌ: «هذا طبيعيٌّ، فهناك صفات كثيرة مُشْتَرَكة بينه وبين الإبلِ، فهو هادئٌ وصبورٌ وحليمٌ، لم أره يغضبُ إلا مرةً واحدةً فقطْ.. هل تذكرُها يا دسوقي؟».



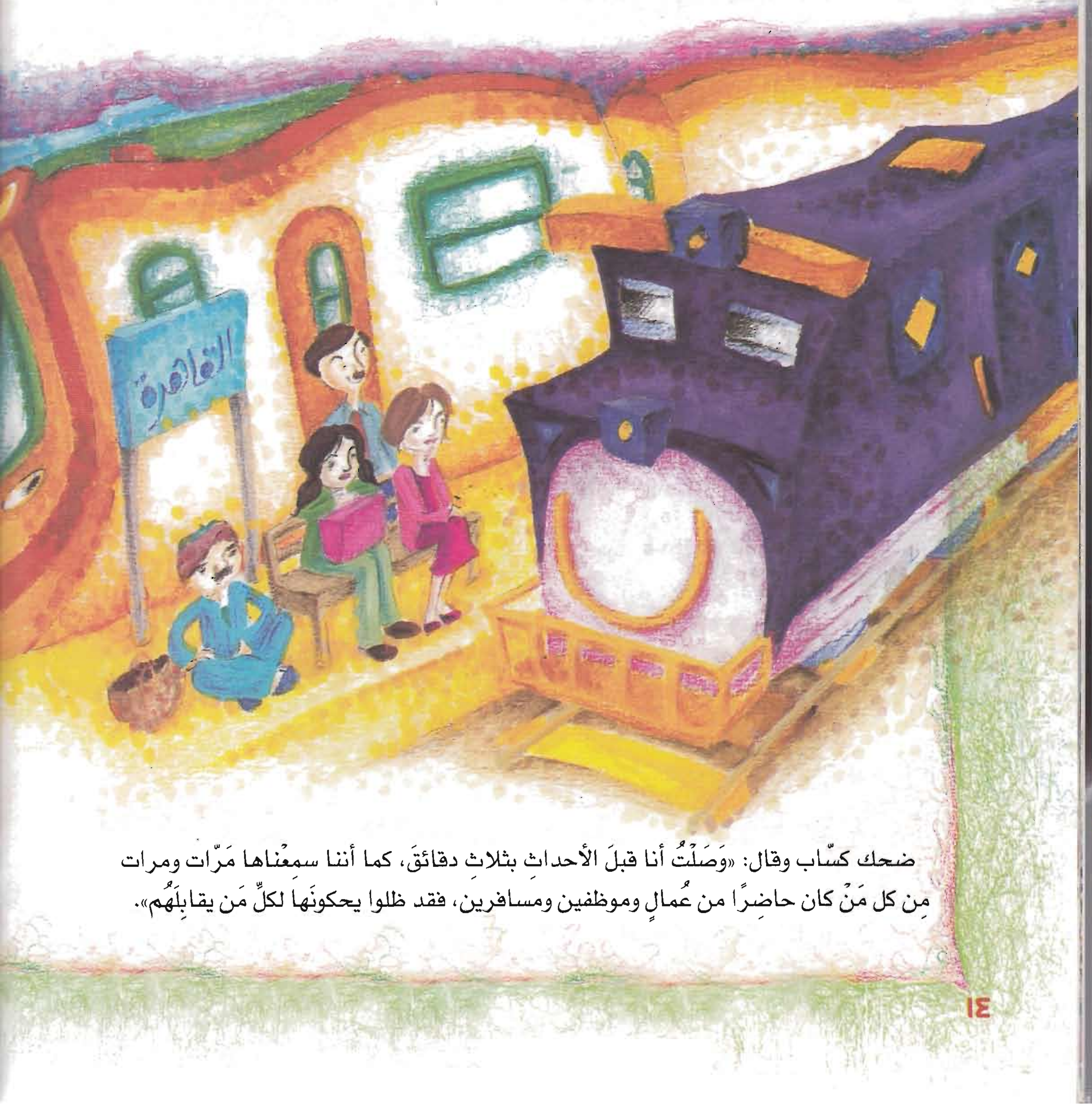


قالَ دسوقي: «طبعًا.. يا لها من ذكرى! احكِ لهم عنها يا كسّاب، فقد حانَ مَوْعِدُ قيامي» ثم تحرك ببطءٍ، مُتّجِهًا إلى رصيف ٤ استعدادًا للرحيل إلى الإسكندرية.

تَحَوَّلَ انتباهُ القطاراتِ إلى كسّابٍ الذي فكرَ قليلًا ثم قال:

«كان إسماعيلُ يقِفُ وحيدًا في محطةِ السويسِ، ولم يبق على موعدِ قيامِهِ إلا سبعُ دقائقَ».

اندفَعَ سباعي متسائلًا: «من حكى لكم تلك الحكاية؟».



ضحك كسّاب وقال: «وَصَلْتُ أنا قبلَ الأحداثِ بثلاثِ دقائقَ، كما أننا سمعْناها مَرّات ومرات مِن كل مَنْ كان حاضِرًا من عُمالٍ وموظفين ومسافرين، فقد ظلوا يحكونَها لكلِّ مَن يقابِلَهُم».



فقاطعهم مُرْسي قائلًا: «للأسفِ لا يمكنني أن أتهاون في عملي أو أُهمِل مسئولياتي، لذلك سأضْطَرُّ لمغادرتكم في منتصفِ القصةِ. أرجوكُم، احفظوها جيدًا لتَحْكُوها لي في وقتٍ آخرَ».

ثم تحركَ مُتجهًا نحو الرصيفِ ٨، استعدادًا للرحيلِ.

قالَ مغاوري وسنباطي لمُرسي، وهو يتحركُ نحو الرصيفِ رقم ٨: «حاضر، حاضر».

ثم التفتا إلى كسّابٍ قائلَيْن: «أكْمِل الحكايةَ يا كسّاب».



تابعَ كسّابٌ: «رأى إسماعيلُ من بعيدٍ رجلًا يحاولُ عبورَ شريطِ السكةِ الحديد، ساحبًا وراءَهُ جَمَلًا.. كان يسحَبَهُ بقسوةٍ ويضربُ بطْنَهُ وظهرَهُ بعمودٍ طويلٍ من المَعْدَنِ، وكانَ الجملُ يحاولُ جاهدًا أن يسيرَ بالسرعةِ المطلوبةِ وقد بدَا عليه الهُزالُ، وملأت القُروحُ جلدَه. فلما اقتربَ الرجلُ من قضيبِ السكةِ الحديدِ، كادَ الجملُ يسقط على الأرضِ.. ربما من الإعياءِ، وربما تَعَثَّر في شيءٍ على الأرضِ، فاستدارَ الرجلُ نحوه، وراح يَنْخُسُهُ في جنبِهِ وبطنه ونَحْرِهِ بالعمودِ المَعْدنيِّ. فثارَ الجملُ، واندفع يمُدُّ رأسَهُ نحو الرجلَ؛ يحاولُ عَضَّهُ، وهو يصيحُ ويَرْغُو.. فراح الرجلُ يدفعُ العمودَ في وجهِ الجملِ.

في ذلك الوقتِ، كان إسماعيلُ يَنْفُثُ بخارَهُ من شدةِ الغضبِ، فلما رأى الرجلَ يصيبُ فمَ الجملِ وعينَيْهِ، لم يتحملْ أكثرَ من ذلك، فأطلقَ صفيرًا عاليًا كأنه صيحةُ حربٍ أفْزَعَتْ مَنْ حولَهُ، فابتعدوا عنه مسرعين.

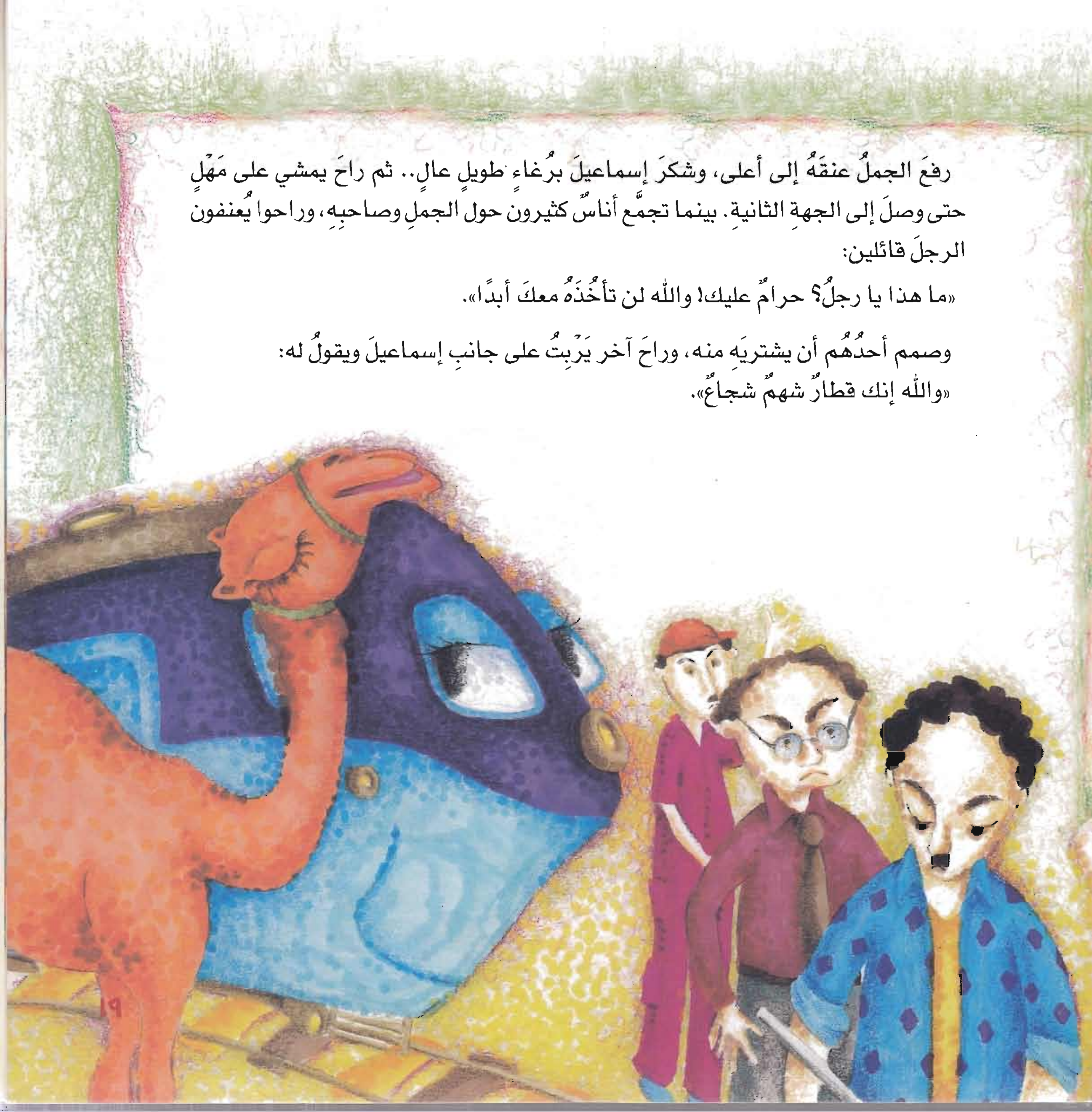


ودونَ إذنٍ من صاحِبه، أو إشارةً من مديرِ المحطةِ، انطلقَ إسماعيلُ بسرعةٍ هائلةٍ نحو الرجلِ وجَمَلِهِ، وهو يُطْلِقُ صفيرًا مستمرًّا، حتى تَصوَّرَ الجميعُ أن به خللًا خطيرًا.

يبدو أن منظرَهُ كان مُرعبًا، فقد تصورَ صاحبُ الجَمَلِ أن القطارَ سوف يَدْهَسُهُ، فتركَ جَمَلَهُ على شريطِ السكَّةِ الحديدِ، وركضَ مبتعدًا، ناجيًا بحياتِهِ.

وفي الحالِ، هدأتْ سرعةُ إسماعيلَ. ثم توقفَ تمامًا قبلَ أن يَصْطدمَ بالجملِ، وقالَ له برقَّةٍ: «لا تفزعْ يا صديقي، لن أقتربَ منك ولن أَدْهَسَك، إنما أردتُ أن أُبْعِد عنك ذلك الرجلَ المتوحش، فاعْبُرِ الشريطَ بأمَانٍ».





رفعَ الجملُ عنقَهُ إلى أعلى، وشكرَ إسماعيلَ برُغاءٍ طويلٍ عالٍ.. ثم راحَ يمشي على مَهْلٍ حتى وصلَ إلى الجهةِ الثانيةِ. بينما تجمَّع أناسٌ كثيرون حول الجملِ وصاحبِهِ، وراحوا يُعنفون الرجلَ قائلين:

«ما هذا يا رجلُ؟ حرامٌ عليك! والله لن تأخُذَهُ معكَ أبدًا».

وصمم أحدُهُم أن يشتريَهِ منه، وراحَ آخر يَرْبِتُ على جانبِ إسماعيلَ ويقولُ له:
«والله إنك قطارٌ شهمٌ شجاعٌ».

وفي الوقتِ نفسه، تجمَّعَ العمالُ والمسئولون على الرصيفِ وهَمُّوا أن يلحقوا بإسماعيلَ لكنهم فوجئوا به يتراجعُ ببطءٍ وحذرٍ وحدَه دون مساعدةٍ من سائقِهِ.

تراجعَ إسماعيلُ حتى عادَ إلى موقفِهِ على رصيفِ المحطةِ، وتحملَ بصبرٍ وهدوءٍ الفحصَ الذي أجراه له العمالُ للتأكُدِ من سلامتِهِ وسلامةِ ماكِنَتِهِ.

في ذلك اليومِ، تأخرَ إسماعيلُ عن موعدِ رحلتِهِ نصفَ ساعةٍ كاملةٍ.. حتى إنني غادرت المحطةَ قبلَهُ، مع أن موعدَهُ كان قبل موعدي بخمسٍ وعشرين دقيقةً».

قالَ سباعي: «لقد شوقتَنا لرؤيتِهِ يا كسّاب».





ردَ مغاوري: «بسيطةٌ.. لم يبقَ على شمِّ النسيمِ إلا ستةَ أسابيعَ».

مرت الأسابيعُ الستةُ، وجاءَ شمُّ النسيمِ، وفي الساعةِ العاشرةِ صباحًا، دخلَ إسماعيلُ محطةَ مصرَ في القاهرة.. وتلفَّتَ حوله فلم يجد أيَّ قطارٍ يعرفُهُ.. وإنما رأى ثلاثةَ قطاراتٍ لم يرها من قبلُ، تقفُ ساكنةً، كأنها لم تلحظْ وصولِه أصلًا.

تقدمَ إسماعيلُ بحذرٍ ووقفَ على الرصيفِ رقم ٧، ثم قالَ بصفيرٍ هادئٍ خفيضٍ: «صباحُ الخيرِ يا جماعةً».

لم يتلقَّ أيَّ ردٍّ، فقالَ بعد قليلٍ: «كلَّ شمِّ نسيمٍ وأنتم طيبون».

استمرَ الصمتُ دقائقَ راحَ أثناءها إسماعيلُ يفكرُ في صاحبيْهِ القديمَيْن، ويتعجبُ لأنهما لم يكونا في انتظارِهِ.



وفجأةً.. سمعَ القطارات الثلاثة تقولُ في وقتٍ واحدٍ: «صباحُ الخيرِ يا أهلَ الخيرِ».

رَدَّ إسماعيلُ بتأثرٍ: «صباحُ الخيرِ يا أهلَ الخيرِ.. لقد خدعتموني بصمتِكُم يا جماعة!!».

ضحكَ الجميعُ، وتعارفوا، بأسمائِهم المصريةِ، لم يروا داعيًا لذكرِ البلادِ التي جاءوا منها، فكلهم مصريون مثل دسوقي وعتريس تمامًا.

في مساءِ ذلك اليومِ، عادَ دسوقي وكسّاب إلى المحطة، فتقدمَا بهدوءٍ نحو إسماعيلَ، ثم انطلقا يغنيان معًا، واشتركَ معهما القطاراتُ الثلاثةُ:

«يا حبايبي يا أهلي يا ناسي.. في هواكم عمري ما أقاسي!!».




قطار


البحر الأبيض المتوسط
مطروح
الإسكندرية
رشيد
دمياط
العريش
دمنهور
المنصورة
واحة سيوة
القاهرة
الجيزة
الفيوم
المنيا
السويس
سيناء
دهب
الغردقة
الأقصر
أسوان
البحر الأحمر

سلسلة قطار مصري

في مصر، كل قطار له اسم: "الفرنسي"، "الأسباني"، "المجري".. وهكذا. ولكن، لماذا تُسمى القطارات المصرية بأسماء بلاد أجنبية؟

في سلسلة قصص «قطار مصري»، ومن خلال مغامرات شيقة، ستتعرف على كل قطار وقصة وصوله إلى مصر، وكيف أصبح مصريًا خالصًا.



قطار مجري، أحب المصريين وتمنى أن يكون واحدًا منهم.



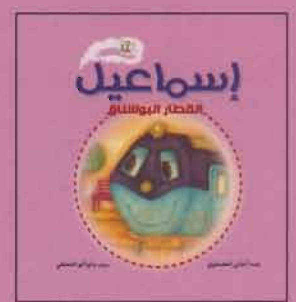
قطار فرنسي متحفظ، أعجبه تعاطف المصريين وتعاونهم.



قطار أسباني، أحب المصريين وموسيقاهم وغناءهم.



قطار صيني، أعجب بلغة مصر ومعالمها وحضارتها.



قطار يوغوسلافي من البوسنة، سمح وكريم.



دار الشروق
www.shorouk.com